Adıyaman Üniversitesi
İslami İlimler Fakültesi
İslami İlimler Araştırmaları Dergisi
1 (2017/1), 213-251

المناظرات النَّحويَّة وضوابطهاالنَّقديَّة

Abdullah AL-TAVVEL*

مُلخَّص

يتناول البحث الذي بين أيدينا ظاهرةً علميَّةً واجتماعيَّة مهمَّة وهي (المناظرات النَّحوية)؛ وتكمن أهميَّتها في أنَّ العلماء استطاعوا من خلالها التَّقدُّم بالعلوم الشرعيَّة والعربيَّة بشكلٍ كبيرٍ .

وقد تنافس الخلفاء في استقدام النُّحاة واللُّغويين إلى حواضر خلافاتهم وعقدوا لهم المجالس وأثاروا بينهم روح المنافسة وأذكوا في نفوسهم حب الغلبة . فجاء هذا البحث ليسلط الضوء على هذه الظاهرة من حيث نشأتها وتطورها وأسبابها وضوابطها النَّقدية .

الكلمات المفتاحية: المناظرات النَّحويَّة, مجالس العلماء, المذهب, الخلفاء, البصرة.

DİL BİLGİSİ TARTIŞMALARI VE ELEŞTİREL KURALLARI

Öz

Bu çalışma önemli bir bilimsel ve toplumsal olgu olan Arapça dil bilimi münazaralarını ele almaktadır. Bu münazaraların ehemmiyeti ise âlimlerin şer'î ilimlerde ve Arapçada ciddi anlamda ilermelerine vesile olmasında saklıdır.

Bu bağlamda halifeler, dilcileri huzurlarına getirip onlar için toplantılar tertip etmede yarıştılar ve böylelikle dil bilimcilerin aralarına yarışma ruhunu yerleştirip kalplerine de galip gelme hissini ektiler. Dolayısıyla bu çalışma, bu olgunun doğuşu, gelişimi, sebepleri ve eleştirel kaynaklarını gün yüzüne çıkarmayı hedeflemektedir.

Anahtar Kelimeler: Dil Bilgisi Tartışmaları, Ulema Meclisleri, Mezheb, Halifeler, Basra.

* عضو هيئة التدريس بجامعة أديامان التركية

Adıyaman Üniversitesi
İslami İlimler Fakültesi
İslami İlimler Araştırmaları Dergisi
1 (2017/1), 213-251

GRAMMATICAL DEBATES AND CRITICAL RULES

Abstract

This study deal with the Arabic linguistics debates which are important scientifical and sociological phenomena. The importance of these debates is in their guidance the experts of the field to the serious developments in the theology and the linguistics.

Related to the subject matter, the caliphates competed in attracting the linguists to their presence and preparing sessions for their debates. So, they lead the linguists to competition and motivated them to be ambitious about winning the debate. Therefore, this study aims to put forward the birth, development, reasons and the critic sources of this phenomenon.

Keywords: Grammatical Debates, Council of Scholars, Doctrine, The Caliphs, Basra.

المُقدِّمة:

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على سيِّد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين ، أمَّا بعد:

فتُعدُّ المناظرات النَّحويَّة من الطُّرق المهمة في التَّعبير عن مكانة الدَّرس النَّحوي عند علماء العربيَّة، فقد كانت واقعيًّا ومحاكاةً حقيقيةً للنَّهضة اللُّغوية التي شهدتها الأمصار الإسلامية وعلى وجه الخصوص البصرة والكوفة، فجاءت أهمية هذه المناظرات من جهة تناولها أدق تفصيلات النَّهضة العلميَّة؛ فتكاد لا تجد عالماً من العلماء إلَّا وقد شغلت المناظرات جانبًا من سيرته، وهذا عائد إلى استعدادهم للمشاركة في هذا اللون النَّقدي الذي حَفِلَتْ به مجالسهم ؛ وذلك لإلمامهم بأدوات الجدل والنَّظر، فمرحلة التناظر في مسائل اللُّغة المختلفة قد سبقتها مرحلة التناظر في مسائل الفقه العويصة، وقد طال البحث فيها ، وكثُر الجدل حولها؛ الأمر الذي نتج عنه نشأة علم الجدل والكلام، وفي هذه المناظرات ذاتها، وخَلْفَ الدوافع نفسها نشأ النَّحو في ظلِّ الدِّين وتحت راية القرآن الكريم[1].

تكمن أهميَّة المناظرات النَّحويَّة أنَّ العلماء استطاعوا من خلالها التَّقدُّم بالعلوم الشرعيَّة والعربيَّة وجعلها محطَّ اهتمام كبير لدى كبار اللُّغويين ووجهاء القوم من خلفاء وولاة، إذ لم يكن للضعيف مجال فيها إلَّا لمن اتَّسم بالتَّمكن والتميُّز العلمي. ولا نبالغ إذا قلنا إن هذه المناظرات قد دفعت بالنَّحو العربي والدراسات القرآنيَّة إلى قِمَّة التَّطور والنُّمو؛ وذلك لأنَّ طبيعة هذه المناظرات كانت تعتمد على الدِّقةِ والنَّظرِ، وسرعةِ البديهةِ، وطلاقةِ اللِّسانِ، واحتجاجٍ قويٍّ، وتعليلٍ سليمٍ، وقياسٍ منطقيٍّ[2]. وكان من أهم أهدافها الجليلة خدمة كتاب الله . عزَّ وجل . ، وقد وجدناه ماثلاً في مسائلهم، ملازمًا لاحتجاجاتهم حريصين على العمل به، مُجلِّين له. تذكر كتبُ الطَّبقات أنَّ ثعلبًا (ت427هـ) أبدى آلامَه أمام ابن

(1) ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللُّغويين والنُّحاة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت911هـ)، المكتبة العصرية، لبنان، صيدا، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم . 42/2 ، والنقد النَّحوي في فكر النُّحاة إلى القرن السَّادس الهجري، رسالة ماجستير، سيف الدين شاكر نوري البرزنجي، إلى مجلس كلية التربية في جامعة ديالى، العراق ، 1427هـ. 2006م .ص 27.

(2) ينظر: تطور الدَّرس اللُّغوي في الأندلس، محمَّد خالد الدعيس، المغرب، الدار البيضاء، 2009م. ص30.

مجاهد العلَّامة القارئ (ت324هـ)، فقال عن أعلام الثَّقافة الإسلاميَّة إنَّهم أفلحوا بما بذلوا من جهد في المجلات التي برزوا فيها، وأمَّا النُّحاة فإنَّهم أضاعوا حياتهم بين زَيدٍ وعَمرٍو، فماذا لهم عند الله؟، فانصرف أبو بكر من عنده، وعاد في اليوم التالي ليقول له: إنَّه رأى رسولَ الله . صلى الله عليه وسلم . في المنام، وإنَّه يقول له: أَقرئْ أبا العبَّاس منِّي السَّلام، وقل له: أنتَ صاحبُ العِلم المستطيل[3].

لقد اهتم بعضُ علماء النَّحو بجمع هذه المناظرات والمجالس وتوثيق ما جرى فيها من حوارات وحلٍّ للمشكلات كالزَّجاجي (ت340هـ) في كتابه (مجالس العلماء)، وأبي البركات الأنباري (ت577هـ) في كتابَيه (الجمل في علم الجدل)، و(الإغراب في جدل الإعراب)؛ وذلك لما وجدوا فيها من قيمة علمية ترفد التراث وتعزز مكانته.

لقد دفعني للبحث في هذا الموضوع أسبابٌ عدة أُوجزها بالآتي:

1- تُعد المناظرات العلميَّة في زمانها بمثابة المؤتمرات العلميَّة في زماننا، فلها نظام وأسلوب إدارةٍ وطريقة حوارٍ مميَّزة .

2- اهتمام العلماء والخلفاء والولاة بهذه المناظرات والحرص على تنظيمها.

3-أظهرت المناظرات نضوج المذهب النَّحوي للأمصار، كما قدمت لنا صورًا من الانتصار الإيجابي له .

4- تُعدُّ المناظرات سجلاً حافلاً بالمسائل النَّحويَّة المهمة التي اعتمد عليها النُّحاة في دراسات لاحقة .

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يُقسم إلى مبحثين رئيسين :

---

(3) تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت 463هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1422هـ - 2002 م. 448/6، و وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان(ت681هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة ، لبنان.103/1 وفيه: " قال أبو عبد الله الروذباري العبد الصَّالح: أراد أنَّ الكلام به يكمل، والخطاب به يجمل، وأن جميع العلوم مفتقرة إليه". سواء أكانت الرواية صحيحة أم لا فيُراد منها إضفاء لون القداسة على هذه الدِّراسة، وللدكتور السيد رزق الطَّويل له فيها وجهة نظر:1- أن أعلام النُّحاة كان لا يزال نفوسهم الهدف الأسمى، وهو المحافظة على القرآن الكريم.2- أن ثعلبًا يشكو من تحول الدراسات النحوية إلى مجرد صناعة لفظية، رمز إليها بقوله: زيد وعمرو . ينظر: الخلاف بين النَّحويين دراسة . تحليل . تقويم ، د. السيد رزق الطويل، مكتبة الفيصلية، ط1، مكة المكرمة ، 1405هـ - 1984م. ص 3.

الأوَّل: المناظرات النَّحويَّة، نشأتُها وتطوّرُها .

الآخر: المناظرات النَّحويَّة، أسبابُها وتقييمُها

وقد تناول البحث خلال هذين المبحثين محاور عدة أصيلة أظهر فيهما مكانة هذا الموضوع المهم، ثمَّ خُتمَ بخاتمة حملت أبرز النَّتائج، وكانت جُل مصادره من كتب المجالس والتَّراجم والطَّبقات والنَّحو.

المبحث الأوَّل

المناظرات النَّحويَّة، نشأتُها وتطوّرُها .

أولاً: حدُّ المُناظرة لغةً واصطلاحًا:

1- **لغةً**: التَّناظُرُ: التَّراوُضُ فِي الأَمر. ونَظِيرُك: الَّذِي يُراوِضُك وتُناظِرُهُ، وناظَرَه: مِنَ المناظَرَةِ. والنَّظِيرُ: المِثْلُ، وَقِيلَ: الْمِثْلُ فِي كُلِّ شَيْءٍ. وَفُلَانٌ نَظِيرُك أَي مِثْلُك؛ لأَنَّه إِذا نَظَر إِليهما النَّاظِرُ رَآهُمَا سَوَاءً. وَحَكَى أَبو عُبَيْدَةَ: النِّظْر والنَّظِير بِمَعْنًى؛ مِثْلَ النِّدِّ والنَّدِيدِ؛ وأَنشد لِعَبْدِ يَغُوثَ بْنِ وَقَّاصٍ الحارِثِيِّ: (من الطَّويل)

أَلا هَلْ أَتى نِظْرِي مُلَيْكَةَ أَنَّني ... أَنا الليثُ، مَعْدِيًّا عَلَيْهِ وعادِيا؟ [4]

وتناظروا في الأمر: تجادلوا وتراضوا ....، والمناظر: المجادلُ والمحاجُّ ."[5] .

2- **اصطلاحًا**: و"هي النَّظر بالبصيرة من الجانبين في النِّسبة بين الشَّيئين إظهارًا للصَّواب"[6] .

وهي: "ما يقع بين النَّظيرين"[7] .

---

(4) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (ت711هـ)، دار صادر، بيروت، ط1، 1410هـ. 219/5 (نظر).

(5) ينظر : المخصّص، لابن سيده (ت458هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1 ، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، 1417هـ 1996م. 409/3، والقاموس المحيط، للفيروزآبادي، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ط 1، 1406هـ. 484/1.

(6) ينظر : التعريفات ، علي بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت 816هـ) ، تحقيق مجموعة من العلماء ، دار الكتب العلميَّة ، ط1 ،بيروت ، لبنان ،1983م.ص231، والتعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي ، دار الكتب العلميَّة (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان 1407هـ - 1986م، ط1، 1424هـ - 2003م. ص 218.

"وحتَّى تكون المناظرة مجدية مع توافر عنصر الإمتاع، فإنه يفترض أن يكون المتناظرون على مستويات متقاربة من الفهم والإدراك، ولا نقول بالمطابقة، لأنها نادرة الحدوث، ولكنَّ التقارب في المستوى العقلي والعلمي يجعل من المناظرة عملًا فكريًّا له قيمته، ويفترض في المناظر أن يكون على مستوى علمي وثقافي جيد بحيث يكون في مقدوره الصمود أمام من يناظر، ذلك لأن المناظرات طرح لمسائل فكرية عديدة كما أنها تقوم بتصحيح كثير من المفاهيم، وشق طرق جديدة أمام التفكير"[8].

أمَّا **المحاورة** فقد عرَّفها أهلُ اللُّغة بأنَّها:" المجاوبةُ ومُراجعةُ النُّطْق والكَلام في المخاطبة، وَقد حَاورَه، وتَحاوروا: تَراجعوا الكلامَ بينهم، وهم يَتراوحونَ ويتحاورونَ " [9]. وعلى ما سبق من تعريفات ممكن أن نوضِّح سمات المناظرة والمحاورة:

أ- **سمات المناظرة:** لقد تضمَّنت المناظرات مجموعةً من السِّمات أَجْمَلَها (محمد آدم الزاكي) بالآتي:

أ- "قبل أن يُعقد مجلس المناظرة يتمُّ تهيئة اللِّقاء وتنظيمه لغرض إنجازه .

ب- يُقام مجلس المناظرة بتوجيه من ولاة الأمر لأغراض عدَّة، منها لاختيار بعض المدرسين لأبنائهم، أو لإبراز مكانة المتناظرين بين أقرانهم وإنزالهم منزلةً يستحقُّها . كما يمكن أن يُقام هذا المجلس دون ترتيب مُسبق في ضيافة ولاة الأمر، حيث يُبتدأ بنقاشٍ عاديٍّ ما يلبث أن يتطوَّر إلى مناظرةٍ بقصد التَّفوق والانتصار للمسألة المطروحة .

ت- تُقام بعض هذه المجالس ردًّا لاعتبارات شخصية سابقة، القصد منها الثأر والانتصار.

ث- يُنصَّب . غالبًا . حَكَمٌ للفصل بين المتناظرين"[10] .

---

(7) معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن عبد الله (ت نحو 395هـ)، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي، ط1، 1412هـ . ص488.

(8) المصدر نفسه . وأدب الحوار والمناظرة، د. علي جريشة ، دار الوفاء، المنصورة، ط1989،1م. ص 66.

(9) تاج العروس من جواهر القاموس، محمَّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت 1205هـ) ، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية. (حور) 108/11، وينظر: العين ، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق الدُّكتور مهدي المخزوميّ والدّكتور إبراهيم السّامرّائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط 1، 1408هـ. 287/3، والمناظرات الأدبية في العصر العباسي ، مجلة جامعة بخت رضا، العدد12، سبتمبر2014م. ص110.

ب- **سمات المحاورة:** تتسم المحاورة بالهدوء النِّسبي بين المتحاورين، ويظهر فيها التركيز على المفاخرة والتَّحدي بلا خصام ولا نزاع، ويمكن إجمالها بالآتي: [11]:

أ- تقام بين الشَّيخ وتلاميذه.

ب- تعقد بين علماء يجمعهم مذهب نحوي واحد .

ت- سائل قد التبس عليه الأمر ببعض المسائل، وكان غرضه الفهم ومعرفة ما أشكل عليه من المسائل .

أمَّا المجلس فهو مظهرٌ آخر برزت على واجهته معالم الخلاف النَّحوي، غير أن الجدل النَّحوي فيه أهدأ، وأحكم، وأقرب إلى الحق، وأدنى إلى الصَّواب؛ نظرًا لبعدها عن الإثارة التي تتوافر في مجال المناظرات التي يحضرها الخليفةٌ أو شخصٌ مسؤولٌ في الدولة مرموق المكانة فيها مما يجعل للمناظرة جوًّا مليئًا بالمهابة، وفي الموقف نفسه يغري بالمناظرة والحرص على التغلب حتى ينال الجائزة[12] .

لقد أحسن السِّيرافي في تصوير هيبة هذه المجالس حين قال: " فإن العِلم المصون في الصدور غير العِلم في هذه المجالس، على الأسماع المصغية، والعيون المحدقة، والعقول الحادة، والألباب الناقدة؛ لأنَّ هذا يستصحب الهيبة، والهيبةُ مكسرة، ويجتلب الحياءَ، والحياءُ مغلبةٌ، وليس البراز في معركة خاصة كالمصارع في بقعة عامة."[13].

وقد كُتب في المجالس النَّحويَّة مؤلفات سُجلت فيها وقائعها، ومن هذه المؤلفات: مجلس ثعلب، ومجلس أبي مسلم، وفي كتاب الأشباه والنظائر للسيوطي (الفنُّ السَّابع: فنُّ المناظرات، والمجالسات، والمذاكرات، والمراجعات، والمحاورات، والفتاوى، والوقائع، والمراسلات).

---

(10) النَّحو والصرف في مناظرات العلماء ومحاوراتهم حتى نهاية القرن الخامس الهجري عرض ونقد، أطروحة دكتوراه ، محمد آدم الزاكي، جامعة أم القرى، قسم اللُّغة العربيَّة ، 1985م. ص 2.

(11) ينظر:المصدر نفسه .

(12) ينظر: الخلاف بين النَّحويين 94.

(13) معجم الأدباء 894/2.

ثانيًا: أركان المناظرة وشروطها :

1– أركانها:

لا يمكن أن تنعقد المناظرة إلا بوجود أطراف عدَّة؛ لأن أصل لفظ المناظرة من حيث المنظور اللُّغوي من المفاعلة ، ومصدر المفاعلة يعني: التشارك بين اثنين فأكثر، ومن هذا المنطلق يجب أن نحدد الأركان التي بموجبها تنعقد المناظرة ، وبغيابها تنعدم :

الركن الأول: الموضوع .

وهو القضيَّة التي ستجري حولها المناظرة، وتكون صورته مشخَّصةً في ذهن المتناظرين، ومحددةَ المعالم، معينة الأهداف .

الركن الثاني: المتناظران .

وهما الطَّرفان اللَّذان سيتحاوران حول الموضوع المطروح للمناظرة، ويُسمى أحدهما مدَّعيًا، أو ناقل خبرٍ، والآخر معترضًا عليه .

ويُسمَّى البادىء بالكلام (عارض الموضوع) معلِّلًا، والمعترض سائلًا .

أو يسمَّى البادئ (عارض الموضوع) مانعًا، والمعترض مستدلًا؛ وذلك تبعًا لموضوع المناظرة .

وقد يتغيَّر الأمر في أثناء المناظرة، فينقلب السَّائل مُعلِّلًا، والمعلِّلُ سائلًا، أو المانع مُستدلًا والمستدلُّ مانعًا[14].

2– شروطها.

كان الشَّافعي ـ رضي الله عنه ـ (ت204هـ) الأُنموذج الحي لأدب المناظرة؛ فقد عُرفَ بتواضعه وخضوعه للحق، فهو القائل: " وما أوردت الحق والحجة على أحدٍ فقبلهما إلَّا هِبته، واعتقدتُ مودته، ولا كابرني على الحق أحدٌ، ودافع الحجة إلاَّ سقط من عيني"[15] .

(14) ينظر: ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن حبنكة الميداني، تحقيق: حسين مؤنس، دار القلم، دمشق 1993م. ص 374، وأدب الحوار والمناظرة 66.

(15) ينظر: ديوان الشافعي، المسمى: الجواهر النفيسة في شعر الإمام ابن إدريس، ص 69– 70.

وعليه كانت أبيات الشَّافعي . رحمه الله . الآتية الذِكر قانونًا مميَّزًا في أدب المناظرة والحوار[16]:

إذَا مَا كُنْتَ ذَا فَضْلٍ وَعِلْمٍ بما اختلف الأوائلُ والأواخـــر
فَنَاظِرْ مَنْ تُنَاظِر في سُكُونٍ حليمـــًا لا تلـحُ ولا تكـابر
يُفِيدُكَ مَا اسْتَفَادَ بِـلا امْتِنانٍ مِنَ النُّكَـتِ اللَّطِيـفَة وَالنَّـوَادِر
وإيـاكَ اللَّـجوحَ ومنُ يـرائي بأني قد غلبتُ، ومن يفـاخر
فَإنَّ الشـــرَّ في جَنَبَاتِ هَذَا يمـنِّي بالتقـــاطع والتـــدابر

وقال أيضًا:" ما ناظرتُ أحدًا أحببتُ أن يُخطىء" . وذَكر أبو عثمان محمَّد ابن الشَّافعي:"ما سمعتُ أبي يناظر أحدًا قط فرفع صوته"[17]. وقال الإمام الذَّهبي رحمه الله : "وعلى كلٍّ تقدير احذر المراء في البحث وإنْ كنت محقًّا ، ولا تنازع في مسألة أنت لا تعتقدها "[18].

3– قيمتها في الدَّرس النَّحوي.

إنَّ المناظرات النَّحويَّة نتج عنها ثروة لغويَّة ونحويَّة كبيرة بما أُثير فيها من مسائل تناولها العلماء من وجهات نظر مختلفة، يقول الشيخ الطنطاوي . رحمه الله:" إنَّ المناظرات تصير حيث يصير العِلم وحيث يصير العُلماء، فحبُّ الغلبة جبلِّيٌّ في الإنسان في مظاهر الحياة المختلفة ، فكيف العِلم الذي هو أنبل الغايات، وأسمى المقاصد؟، نَعَم؛ كان مبعث المناظرات محض العِلم فحبذا الغَرَض والمطلب، ولكنَّها فيما نحن فيه قد شِيْبَتْ بالعصبيَّة، فكانت حربًا ضروسًا ، غير أنها محمودة المغلبة، على كل حال، لما تسفر عنه من نتائج

(16) ينظر: ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن حبنكة الميداني، تحقيق: حسين مؤنس، دار القلم، دمشق 1993م. ص 374، وأدب الحوار والمناظرة 66.

(17) تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت676هـ) ، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية. 66/1.

(18) زغل العلم ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت748هـ)، تحقيق: محمد ناصر العجمي، مكتبة الصحوة الإسلامية. ص38، وينظر: السبق التربوي في فكر الشافعي 319 – 320.

القرائح المكنونة، فما نَعمَتِ اللُّغة وغنيت إلَّا من هذا السِّجال العلمي: "عِنْدَ الْصَبَاح يَحْمَدُ الْقُوْمُ الْسُّرَى"[19].

ويرى الأستاذ أحمد أمين ـ رحمه الله ـ أنها : " من أهمِّ معاهد العلم مجالس المناظرات في الدُّور والقُصُور...، وبين العلماء وفي النَّحو والصَّرف واللُّغة ..، إذ كانت أكثر المسائل العلميَّة لم تقرَّر بعد، ولم تتخذ شكلًا ثابتًا كان مجال المناظرات فسيحًا من النَّاحية العمليَّة البَحتة " [20].

كما وأنَّ في " مثل هذه المناظرة مَمتعةٌ، تدعو إلى البحث والتَّفكر ولولا مثل هذه المناظرات، لما وقعنا على هذه النُّصوص التي كانوا يبحثون عنها لتسجيل انتصار في حَلَبَة الصِّراع النَّحوي "[21] .

لقد تبين من خلال هذه النُّصوص ما يُؤَكِّد مكانة المناظرات الرفيعة في الدَّرس اللُّغوي، إذ برزت في ثنايا مناقشات العلماء مواقف وآراء فيها جِدَّة وأصالة كان لها الأثر البيِّن في نضوج التُّراث اللُّغوي العربي، ومهَّدت للوصول إلى ما انتهى إليه التراث في عصورٍ لاحقة من كمالٍ واستقراءٍ، ممَّا يجعل لها مكانةً عاليةً متميِّزةً في الدَّرس اللُّغوي.

3– نشأتُها وتطوُّرُها.

تباينت آراء العُلماء في أسبقيَّة واضع علم النَّحو، فقال السِّيرافي: " اختلف النَّاس في أوَّل من رسم النَّحو، فقال قائلون: أبو الأسود الدُّؤَلِي، وقال آخرون: نصر بن عاصم، وقال آخرون: عبد الرحمن بن هرمز... وأكثر النَّاس على أنَّه أبو الأسود الدُّؤَلِي"[22] .

---

(19) نشأة النَّحو وتاريخ أشهر النُّحاة، الشيخ محمد الطنطاوي ، تحقيق: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل، مكتبة إحياء التراث الإسلامي، ط1، 2005م.ص50، هذا مَثَلٌ يقول أبو عبيدة في كتابه: الأمثال، تحقيق الدُّكتور عبد المجيد قطامش، دار المأمون، دمشق، ط1، 1400هـ. (من مطبوعات مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلاميّ بجامعة أمّ القرى). ص 170: " إنهم يقاسمون مكابدة الليل ... فإذا أصبحوا وقد خلفوا البعد وراءهم حمدوا فعلهم حينئذ " .

(20) ضحى الإسلام ، أحمد أمين، الطبعة العاشرة، دار الكتاب العربي، بيروت، (لا . ت) . 54/2.

(21) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار إحياء الكتب العربيَّة، القاهرة، (د.ت). 40/4، وشرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النَّحويَّة (لأربعة آلاف شاهد شعري)، محمد بن محمد حسن شُرَّاب، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، ط1، 1427 هـ– 2007 م. 298/3.

ولا شك أن هذه البدايات لم تَرْقَ إلى مستوى وضع الأُسس والأصول الكلية لقواعد اللُّغة العربيَّة...، "وقد اهتمَّ من جاء بعدهم من العُلماء بوضع القواعد النَّحويَّة وطرد القياس وشرح العِلل، وقد كان لهم في سبيل توطيد القواعد وبسطها وتوضيحها مناظرات كثيرة، دارت فيما بينهم تارةً، ومع غيرهم من الشُّعراء ورواة اللُّغة وقرَّاء الذِّكر الحكيم . حين يجدون عندهم ما يخالف القواعد والضَّوابط ـ تارةً أخرى، فعند هؤلاء النُّحاة بدأتِ المناظرات ولكنَّها كانت بداية هادئة متَّزنة في أغلب حالاتها، إذ كان هدف الحوار وغايته توضيح ما انبهم من القضايا وتقرير ما كان مجهولًا من القواعد والأصول؛ ولأنَّ هؤلاء النُّحاة في هذه الحقبة كانوا على اتجاهٍ واحدٍ تقريبًا في مُدارسة القضايا النَّحويَّة؛ لأنَّ الكوفيين لم يكوِّنوا بعد جبهةً واحدةً في مواجهة البصريين"[23] . ومن أبرز هؤلاء العلماء : عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت 117هـ) والذي أطلق عليه العلماء بـ: " أوَّل من بعج النَّحو ومدَّ القياس وشرح العِلل" [24]، وأشهر تلاميذه: عيسى بن عمر الثقفي (ت 149هـ) صاحب آثارٍ أهمها: كتاباه: (الإكمال، والجامع)[25] ، وأبو عمرو بن العلاء (ت154هـ)، قال عنه أبو عبيدة في ما يروي السيوطي:" كان أبو عمرو أعلم النَّاس بالقراءات والعربيَّة وأيَّام العرب"[26]. وقد عاصر هؤلاء حماد بن سلمة (ت167هـ)، والأخفش الأكبر (ت 177هـ) وغيرهم .

"ثمَّ دخل الحوار بين العلماء مرحلة جديدة اتَّسمت بالشِّدة والعنف لتوافر دواعي ذلك ، وقد بدأت هذه المرحلة حين نبغ الكسائي (ت189هـ) ، والفرَّاء (ت207هـ) ، وابن الأعرابي (ت230هـ) ، وغيرهم من الكوفيين في مواجهة سيبويه (ت180هـ) ويونس

(22) أخبار النَّحويين والبصريين، الحسن بن عبد الله بن المرزبان السِّيرافي، أبو سعيد(ت368هـ) ، تحقيق: طه محمد الزيني، ومحمَّد عبد المنعم خفاجي، 1966م. ص10.

(23) النَّحو والصرف في مناظرات العلماء ومحاوراتهم 7.

(24) طبقات النَّحويين واللُّغويين: محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، أبو بكر (ت379هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ، ط2، (د.ت) .ص 31.

(25) المصدر نفسه 42.

(26) زغل العلم 38 .

(ت182هـ)، واليزيدي (ت202هـ)، والأخفش (ت215هـ) وغيرهم من البصريين. وقد ظهر اتجاهان في دراسة النَّحو: اتجاه بصري واتجاه كوفي، ولكلٍّ مذهبٍ رجالٌ يدافعون دونه ويذودون عن أُصوله وقواعده . وقد استمر الحوار على وتيرته الحادة بين الاتجاهين على أيدي هؤلاء النُّحاة وعند من تلاهم من تلاميذهم ومعاصريهم :" ولقد شمَّر الجميع عن ساعد الجد ونزلوا الميدان تسوقهم العصبيَّة البلدية ، وكان حادي عيسهم بالبصرة أبا عثمان المازني وأبا عمر صالح الجرمي ، وأبا محمَّد التُّوزي ، وأبا علي الجرمازي ، وأبا حاتم السَّجستاني، والرِّياشي والمبرد وغيرهم ، وفي الكوفة يعقوب بن السِّكيت، ومحمد بن سعدان، وثعلبًا، والطَّوَّال، وغيرهم "[27].

وممَّن عُرف بقوَّة مناظراته المازنيُّ شيخ المبرِّد ، وكان " لا يناظر أحدًا إلَّا قطعه، لقدرته على الكلام ، وكان المبرد يقول: لم يكن بعد سيبويه أعلم من أبي عثمان بالنَّحو ، وقد ناظر الأخفش في أشياء كثيرة فقطعه "[28] . وممَّن اشتهر بمناظراته الزَّجاج تلميذ المبرد، إذ ناظر شيوخه كما ناظر أقرانه، اجتمع بابن الخيَّاط (ت320 هـ) وناظره [29]، وناظره نفطويه (ت323هـ)، وثعلب (ت291هـ) [30].

فلمَّا انقضى عهد القلاقل خلف في أذهان الفريقين قصصًا وأدبًا وشعرًا ووقائع تذكر بالفخر تارةً, وبالوجيعة تارةً أخرى. فهذا ما ولدت العصبيَّة والتَّنافس بين وفود الفريقين ورجالاتهم في الأسمار ومجالس الأمراء. ولئن كانت أحداث سياسية خاصة هي المفرقة قديمًا، فإنَّها تطوَّرت مع الزَّمن وتحوَّل اتجاهها، حتى تبلورت في عصبية للبلد وثبتت عليه، كما نجد أنماطًا من ذلك في مثل كتاب البلدان للهمداني، بل إنَّ بعضهم كان يؤلِّف في مفاخر بلده كما فعل الهيثم بن عدي الكوفي (ت209 هـ), فألَّف كتابه "فخر أهل الكوفة على أهل البصرة"[31].

---

(27) النَّحو والصرف في مناظرات العلماء ومحاوراتهم 8، وينظر: نشأة النحو 46.

(28) الفهرست: محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم، دار المعرفة، بيروت، 1398 – 1978 . : 81/1 .

(29) ينظر : معجم الأدباء 270269/1، و137/1.

(30) طبقات النَّحويين واللُّغويين 151، و152، وبغية الوعاة : 2/ 319، والنقد النَّحوي 28.

(31) ينظر: من تاريخ النَّحو العربي، سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني (ت 1417هـ)، مكتبة الفلاح، (د.ت). ص 83.

وأراد ثعلب هذا أن يقرأ على المبرد البصري، فأنكر عليه أصحابه الكوفيُّون وقالوا: مثلك لا يصلح أن يمضي إلى بصريٍّ فيقال غدًا: إنَّه تلميذه ، فاستجاب لهم عصبية وحرَمَ نفسه الخير. لكن ختنه "زوج ابنته" أحمد بن جعفر الدينوري لم يبال ذلك، فكان يخرج من منزل ثعلب وهو جالس على باب داره، فيتخطاه ويتخطى أصحابه، ويتوجه إلى المبرد ومعه محبرته ودفتره ليقرأ عليه كتاب "سيبويه"، وكان ثعلب يعاتبه في ذلك ويقول: "إذا رآك النَّاس تمضي إلى هذا الرجل وتقرأ عليه، يقولون ماذا؟، " فلم يكن يلتفت إلى قوله[32].

وقد حفلت البلاد الإسلامية بهذه المناظرات، ففي الأندلس . مثلاً . قد أثَّرت في الدَّرس النَّحوي إلى درجةٍ كبيرةٍ، وزاد تأثيرها بعد وصول كتاب سيبويه إليهم، ومثال ذلك المناظرة التي حصلت بين صاعد بن الحسين البغدادي من جهة، والزّبيدي والعاصي وابن العريف والمنصور من جهة أخرى[33] .

ثم هدأت حدَّة التَّوتر بين فريقين المدرستين حينما التقوا ببغداد فنشأ جيلٌ من النُّحاة تتلمذ على كلا الفريقين فأخذوا من ثعلب كما أخذوا من المبرد، وأخذوا من البصريين كما أخذوا من الكوفيين، ويعدُّ هذا تطورًا في الفِكر النَّحوي وسبل تناوله، وهذا ناتج من التَّقدم الثَّقافي والحضاري التي شهدته بغداد آنذاك [34].

ومن المعاهد التي قصدها العلماء قصور الخلافة وبلاطات الأمراء ودواوين الولاة والوزراء، وقد وجد من بين الخلفاء والولاة من يرغب في العلم ، منهم هارون الرشيد (ت 193هـ) الخليفة العباسي، وابنه المأمون (ت 218هـ)، كذلك كان الحكم المستنصر بالله ،

(32) معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت626هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت) 542/2، وإنباه الرواة على أنباء النُّحاة، جمال الدِّين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت646هـ)، تحقيق محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثّقافية، بيروت، ط1، 1406هـ . 68/1.

(33) ينظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت1041هـ)، دار صادر، بيروت، 1388هـ، تحقيق: د. إحسان عباس. 77/3.

(34) ينظر: النَّحو والصرف في مناظرات العلماء ومحاوراتهم 9.

وخليفته المنصور بن أبي عامر (ت 392 هـ) صاحب الأندلس، وكان الحمدانيون في الشَّام[35] .

" لقد بقيت بيئة العراق في طليعة الأمصار الإسلاميَّة التي اهتمت في هذا الفن، لاسيما وإن مجالس العِلم فيه هي التي شهدت ولادة علم النَّحو، وكان طبيعيًّا أن تبارك هذه المجالس مسيرته؛ ففي العراق فضلًا عن ذلك سوق (المربد) العلميَّة؛ ملتقى الشُّعراء والأدباء والعلماء، والبحث فيها لا يقلُ شأنًا عمَّا يجري في حلقات الدَّرس التي حفلت بها المساجد إن لم تكن هذه السُّوق مكانًا يعرض فيه العالِم ما تعلمه في تلك الحلقات، وقد قيل: " العراق عينُ الدُّنيا، والبصرة عين العراق، والمربد عين البصرة، وداري عين المربد"[36].

المبحث الثَّاني

المناظرات النَّحويَّة، أسبابُها وتقييمُها

اللُّغة العربيَّة ـ كغيرها من اللُّغات ـ كائنٌ ينمو ويتطوَّر، ولكن تطورها لم يكن محدودًا بحدودٍ مرسومة مقيدة، فالعربيُّ حرٌّ في تعبيره يجول في كلِّ طريقٍ، وينحو به في كلِّ اتجاه، ويجتهد حسب ما يملك من حسٍّ لغويٍّ وقُدرةٍ على الإدراك، فنجده يتعمَّد وضع المشكلات في مجال المنافسة والاجتهاد، وقد أدَّى هذا إلى التَّعمق، وخلق الأسباب، وابتداع العِلل، والاتجاه بالنَّحو اتجاهًا فلسفيًّا يقوم على أسس التَّحليل والاستقصاء، وأصبحتِ التَّراكيب والتَّعبيرات مجالاً للاجتهاد يحكم فيها عالم النَّحو بحسِّه وإدراكه، وهذا يفسِّر لنا عبارة المبرد لتلميذه ابن كيسان: "وهذا شيء خطر لي فخالفتُ النَّحويين "[37]

(35) عيون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276هـ)، دار الكتب العلميَّة – بيروت، 1418 هـ . 222/2 .

(36) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، لأبي منصور الثعالبي ت429هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية، بيروت . لبنان،ط1، 2003م. ص 137، والنقد النَّحوي 26 .

(37) مجالس العلماء، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي – القاهرة، دار الرفاعي بالرياض، ط2، 1403هـ . 1983م. ص245.

أولاً: الأسباب التي أدَّت إلى نشأتها وتطورها:

1– **تعدُّد اللَّهجات:** يقول الأستاذ أحمد أمين :" لم تكن هذه القبائل العربيَّة في درجةٍ واحدةٍ من الفصاحة فقد اشتهر بعضها بأنَّه أفصح من بعض، ولم تكن في درجةٍ واحدةٍ من السَّلامة، فقد سلمت بعض القبائل وحافظت على عربيتها لبعد مكانها عن الاختلاط والفساد، ولذا لما جاء العلماء يروون اللُّغة فضَّلوا بعضها على بعض، فاستبعدوا لغةَ حِمير لأنَّها تكاد تكون لغة وحدها مخالفة للغة مضر، ولأنَّهم خالطوا الحبشة، وخالطوا اليهود، وخالطوا الفُرْس فتأشَّبت[38] لغتهم، ولم يأخذوا عن القبائل التي كانت تسكن التُّخوم المجاورة لمصر والشَّام وفارس والهند، ولهذا لم يأخذوا عن بني حنيفة وسكان اليمامة.....، وقالوا إنَّ الذين عنهم نُقلت اللُّغة العربيَّة وبهم اقتدى، وعنهم أخذ اللِّسان العربي من بين قبائل العرب هم قيس وتميم وأسد ثم هذيل وبعض كنانة والطَّائفيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر القبائل"[39].

2– **التَّعصب للرَّأي** بغية الانتصار على الخصم ولو كان هذا التعصب في غير جانب الصَّواب ،كما حدث في المناظرة التي كانت بين سيبويه والكسائي في المسألة الزَّنبورية[40] .

3– **ما كان بين البصرة والكوفة من ضغائن ذات عمق،** وذلك حين هبط عليٌّ .كرَّم الله وجهه . الكوفة، واتخذها مقرًّا له، ونزلت أم المؤمنين عائشة البصرة على رأس جيش طلبًا لثأر عثمان . رضي الله عنه . مما أدى إلى نموِّ العصبيَّة والخلاف في كلِّ شيء ، "وإنما صارتِ البصرة عثمانيَّة من يوم الجمل إذ قاموا مع عائشة وطلحة والزُّبير فقاتلهم عليٌّ بن أبي طالب

(38) "تجمعت من هنا وهناك" . العين 292/6.

(39) ضحى الإسلام 245/2.

(40) ينظر المسألة في: مجالس العلماء 8 ، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب: جمال الدين ابن هشام الأنصاري (ت761هـ)، دار الفكر، دمشق، 1985، ط6، تحقيق: د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله .ص 88–92، والأشباه والنظائر للسيوطي 3/ 15.

، وقيل لرجل من أهل البصرة: أتحبُّ عليًّا ؟، قال: كيف أحبُّ رجلاً قتل من قومي من لدن كانت الشَّمس هكذا إلى أن صارت هكذا ثلاثين ألفًا"[41].

4– الاتجاهات العلميَّة: فاتجاه أهل الكوفة إلى القراءات والتَّفسير والفقه، واتجاه أهلِ البصرة إلى الفلسفة والمنطق ، لأنَّهم أكثر اختلاطًا بالأجناس الأجنبيَّة من أهل الكوفة ، وأسرع إلى الأخذ بالثَّقافات الأجنبية لتوافر مصادرها عندهم وكثرة انتقالاتهم للكسب والتِّجارة [42].

يضاف إلى ذلك " انصراف النُّحاة عن العامل الزَّمني في الاحتجاج كان سببًا من أسباب الخلاف أيضًا، فقد عمل التَّطور اللُّغوي في الحقبة التي سبقت الدِّراسات النَّحويَّة صيغًا وكلمات تحجرت مع الزَّمن زالت منها الأصوات، وأضيفت إليها أخرى كأسماء الأفعال وأسماء الأصوات، والأفعال الجامدة من نحو: بئس ، ونعم، وحبذا، وليس ، وكثير من ضروب هذه الكلمات التي تمثل مرحلة تطورية قديمة، وقد حار النُّحاة فيها لأنَّها لا تطَّرد مع قواعدهم، فبدل أن يجدوا لها حلًّا واقعيًّا يشير إلى ما مسَّها من تطور مضوا يخضعونها لتلك القواعد المرسومة، ويتأولون لها تأويلات بعيدة أصابوا في بعضها وأخطأوا في بعضها الآخر، فلا عجب أن نجد هذه الكلمات تثير بينهم جدلاً طويلاً"[43].

5– التَّباين في المذهب النَّحوي: سأركز على محورين مهمَّين وقع فيهما الاختلاف بين الفريقين، وهما: **السَّماع والقياس،** إذ يُعدَّان الركنان الأصيلان في بناء عِلمي النَّحو والصرف على وجه الخصوص، وهما منشأ النِّزاع والصِّراع في كثيرٍ من المسائل التي جرت فيها المناظرات والمحاورات بينهم:

(41) مدرسة البصرة النَّحويَّة، نشأتها وتطورها، د. عبد الرحمن السيد، توزيع دار المعارف ، مصر، ط1، 1968م.ص 35.

(42) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللُّغة والنَّحو ، د. مهدي المخزومي ، مطبعة الحلبي ، مصر، 1958م.ص66.

(43) ينظر: ما فات الإنصاف من مسائل الخلاف، د. فتحي بيومي حمودة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، (د. ت) .ص 13-16.

أ- **السَّماع**: ويراد به مأثور القول، شعرًا ونثرًا، وما سمع من قُراء الذِّكر الحكيم من اختلاف في بعض القراءات(44). فنجد البصريين يحددون القبائل التي يسمعون منها ويروون عنها، ويقيمون القواعد على أساس نطقها ، وهي القبائل الموغلة في الصحراء، المتعمقة في البداوة، ولهم رأي في الرواة الذين يعتدون بروايتهم كما أنهم لا يعتدون بكل مسموع، إذ يقيمون قواعدهم على الأكثر والأشهر ويهملون ما عداه مهما كان فصيحًا، كما أنَّ هناك مدى زمنيًّا للسَّماع الذي يحتج به ، وهذه الأخيرة موضع اتفاق بين المدرستين ..

وقد ظهر أثر هذا التقليد والالتزام في بعض المناظرات، ففي المسألة الزَّنبورية ردَّ سيبويه موافقةَ الأعراب للكسائي، في قوله: فإذا هو إيَّاها. بحجج منها: أن الأعراب الذين يأخذ عنهم لا يقولون ذلك.. ، وبالجملة فإن البصريين لا يلتفتون لكل مسموع (45).

أما الكوفيين فيسمعون من قبائل العرب جميعًا، ويأخذون من كلِّ الرُّواة، ويعتدُّون بكلِّ مسموع، ويقيمون عليه قاعدة نحوية.

يقول الرياشي مفاخرًا :" نحن نأخذ اللُّغة عن حرشة الضِّباب وأكلَة اليرابيع، وهؤلاء أخذوا اللُّغة عن أهل السَّواد أصحاب الكواميخ، وأكلَة الشوارِيز"(46).

ويقول ابن درستويه : " إنَّ الكسائي يسمع الشَّاذ الذي لا يجوز إلَّا في الضَّرورة فيجعله أصلاً ويقيس عليه فأفسد النَّحو بذلك "(47) .

كما قَبِلَ الكوفيون كل ما نُقل عن العرب، واعتدوا به، وجوَّزوا القياس عليه، قال السيوطي: "إذا سمعوا بيتًا واحدًا فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلًا وبوَّبوا عليه "(48) .

(44) ينظر: الاقتراح في أصول النَّحو ، للسيوطي (ت911هـ) ، تحقيق: أحمد محمد قاسم ، ط1، مطبعة السعادة ، القاهرة، 1976م. ص 46.

(45) ينظر المصدر السابق 84.

(46) أخبار النَّحويين البصريين 68.

(47) معجم الأدباء 1744/4، وبغية الوعاة 164/2.

(48) الاقتراح 84.

وقد لوحظ في موقفهم من بعض المسائل في المناظرات ما يؤكِّد اعتدادهم واحترامهم للسَّماع، فالكسائي اعتدَّ بموافقة الأعراب له في المسألة الزنبورية وجعل من مواقفهم حجَّة فيما تمسك به.

ب- **القياس** :

عرَّفه أبو البركات الأنباري ـ رحمه الله ـ بأن معناه في وضع اللِّسان (لغةً):" التَّقدير، وهو مصدر قايستُ الشَّيء بالشيء مقايسة وقياسًا، أي: قدَّرته، ومنه المقياس، أي: المقدار ... وهو في عُرف العلماء [اصطلاحًا]: تقدير الفرع بحكم الأصل، وقيل: هو حمل فرع على أصل بعلة وإجراء حكم الأصل على الفرع، وقيل: هو إلحاق الفرع بالأصل بجامع، وقيل: هو اعتبار الشيء بالشيء بجامع، وهذه الحدود كلها متقاربة. فمن أنكر القياس فقد أنكر النَّحو، ولا نعلم أحدًا من العلماء أنكره لثبوته بالدَّلائل القاطعة والبراهين السَّاطعة"[(49)] .

وقيل: " هو إلحاق الفرع بالأصل بجامع". ولخَّص السيوطي ـ رحمه الله ـ مذهبي البصرة والكوفة وموقفهما من هذا الأصل فقال: " فإنَّ مذهب الكوفيين القياس على الشَّاذ والنَّادر، ومذهب البصريين اتِّباع التَّأويلات البعيدة التي خالفها الظَّاهر" [(50)].

إن الاختلاف في القياس بين النُّحاة أشعل نار النزاع والخلاف بينهم فكان من الأسباب الموجبه للمناظرات التي نتج عنها حركة علميَّة أساسها التَّنافس الحاد والإبداع المفيد، وعلى الرغم من ذلك فإنَّ " هذه المعارك العلميَّة لم تخلِّف ـ في كثيرٍ من حالاتها ـ في النُّفوس ضغنًا ولا بغضاء كانت جدالًا شريفًا سلمت معه دواعي الصَّدر مما يورث العداوة والضَّغائن، فإنَّ النَّاظر في سيرة هؤلاء القوم يدرك أنَّ ما كان بينهم في حلبات المناظرة لا يَعدُ أن يكون خلافًا فكريًّا لا يفسد للودِّ قضية، ولم تنفصم به عرى الإخاء. وحسبك دليلًا على هذا ما كان بين الكسائي واليزيدي فإنَّهما اختلفا في حلقات المناظرات كثيرًا، ولكن حين مات الكسائي رثاه اليزيديُّ بكلمةٍ دامعةٍ تحسُّ فيها بلوعة المصاب، وترى فيها ما كان بين

(49) لمع الأدلة ، لأبي البركات الأنباري (ت577هـ)، تحقيق: سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، 1377هـ ـ 1957م. ص 93 ، وينظر النقد النَّحوي 377.

(50) الاقتراح 79.

الرجلين من وفاءٍ وودٍّ . قال اليزيدي في رثاء الكسائي ومحمد الحسن الشَّيباني يوم ماتا معًا"[51]:(من الطَّويل)

أَسَيْتُ عَلَى قَاضِي الْقُضَاةِ مُحَمَّدٍ .. وَأَذْرَيْتُ دَمْعِي وَالْفُؤَادُ عَمِيدُ
وَقُلْتُ إِذَا مَا الْخَطْبُ أَشْكَلَ مَنْ لَنَا .. بِإِيضَاحِهِ يَوْمًا وَأَنْتَ فَقِيدُ
وَأَقْلَقَنِي مَوْتُ الْكِسَائِي بَعْدَهُ ... وَكَادَتْ بِي الأَرْضُ الْفَضَاءُ تَمِيدُ
وَأَذْهَلَنِي عَنْ كُلِّ عَيْشٍ وَلَذَّةٍ ..... وَأَرَّقَ عَيْنِي وَالْعُيُونُ هُجُودُ
هُمَا عَالِمَانِ أَوْدَيَا وَتَخَرَّمَا ..... فَمَا لَهُمَا فِي الْعَالَمِينَ نَدِيدُ
فَحُزْنِي إِنْ تَخْطُرُ عَلَى الْقَلْبِ خَطْرَةٌ .. بِذِكْرِهِمَا حَتَّى الْمَمَاتِ جَدِيدُ

وكذلك ترى صورًا من الوفاء في رثاء ثعلب للمبرد[52] ، وغيره كثير .

6– تجلية الحقيقة القرآنيَّة والحفاظ على أصالة اللُّغة:

معلومٌ بأنَّ الدِّراسات اللُّغويَّة لا تنفكُّ عن الدِّراسات الإسلامية؛ إذ القرآن الكريم والحديث الشَّريف وهما منبع الدَّرس الإسلامي هما كذلك مجال الدَّرس اللُّغوي، ومن هنا أعطى علماؤنا السَّابقون الدِّراسة اللُّغوية حُكمًا شرعيًّا يصل أحيانًا إلى فرض عين .

وقد سُئل ابن هشام الأنصاري: لِمَ لم تضع تفسيرًا للقرآن الكريم ؟، فقال: " أَغْنَانِي المُغْنِي" ، وقال أيضًا: " وضعتُ الكتاب لإِفَادَة متعاطي التَّفْسِير والعربيَّة جَمِيعًا "[53]؛ ذلك لأنَّه رأى في كتابه "مُغني اللَّبيب" وقد استشهد فيه بمئات الشَّواهد القرآنيَّة ما يسدُّ مَسدَّ تفسيره للقرآن الكريم. هذا والمفسرون للقرآن الكريم أكثرهم نحاة، ولهم قَدَم راسخة في الدَّرس النَّحوي .

(51) النَّحو والصرف في مناظرات العلماء ومحاوراتهم 8، وتنظر الأبيات في: إنباه الرواة 268/2، والوافي بالوفيات 52/21.

(52) نُزهة الألبّاء في طبقات الأدباء: عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (ت577هـ)، تحقيق: الدّكتور إبراهيم السّامرّائي، مكتبة المنار،ط3، الأردن، 1405هـ. ص227.

(53) مغني اللبيب 853، ومن تاريخ النحو العربي 193.

فلا غرابة . إذن . أن نجد للقرآن الكريم في هذه المناظرات نصيب كبير من الاهتمام، وليس في ذلك أدنى عجب، فأيُّ كلامٍ أحقُّ من كلام الله . تعالى . وقد بلغ من الفصاحة ما بلغ أن ينال من العلماء تباين النَّظر حوله واختلاف الرَّأي في وجوه آياته ودقائق ألفاظه.

لقد ظهر أثر القرآن الكريم في مناظرات النُّحاة ومجالسهم في مظهرين واضحين:

الأوَّل: آيات تعرض على المتناظرين لتقليب وجوه النَّظر فيها، وإبداء الرأي حول ما تحتمله من وجوه صحيحة .

والآخر: اتخاذ الآيات الكريمة أدلَّة يستدلُّ بها المتناظرون على صحَّة ما يذهبون إليه من آراء وأقوال.

فأمَّا النَّوع الأوَّل : فلم يقتصر على مواقع الكلمة في جملة أو مواقع الجُمل في تراكيبها ومساقاتها، بل تعدَّى ذلك إلى المفردات والألفاظ بحثًا في موازينها وما طرأ عليها من تغيير أو زيادة أو حذف، أي: أنَّ ما كان يدور بين المتناظرين لم يكن ليقتصر على ما يتعلَّق بالنَّحو فقط؛ بل تجاوز ذلك إلى ما يتعلَّق بالصَّرف أيضًا، وبذلك يتَّسع أثر القرآن الكريم في هذه المناظرات اتِّساعًا يبين لنا مدى ما كان يأخذ هذا الكتاب العظيم من أوقات العلماء ومجالسهم ومحاضراتهم(54) .

إنَّ أثر القرآن الكريم في مناقشات العلماء ومناظراتهم كان يتجلَّى في أن القرآن الكريم وحرص المسلمين على لغته وعدم اللحن فيه وهو السبب المباشر لعقد مثل هذه المناظرات أو المجالس، كما كان يتجلى في تلك الآيات التي كانت مدار المناظرة أو المحاورة، ويظهر هذا الأثر أيضًا فيما كان يستشهد بآياته الكريمة على ما تدور المناظرة حوله من عبارة أو بيت أو كلمة .

ولعل من فوائد هذه المناظرات العلميَّة ما نراه من مزالق لغوية كان العلماء يقعون فيها حتى ما يدور منها حول آيات القرآن الكريم، وهنا يبرز دور المناظرة في تجلية الحقيقة وخدمة كتاب الله . فمناظرة الكسائي لذلك الرجل الذي سأله عن الفرق بين: أنا قاتلٌ أباك ، وأنا

(54) ينظر: أثر القرآن والقراءات في النَّحو العربي، د. محمد سمير نجيب اللّبدي، دار الكتب الثقافية، الكويت، ط1، 1398هـ . 1978م. ص157.

قاتلُ أبيك ـ وإجابة الرجل بأنَّه لا فرق بينهما ـ وردّ الكسائي عليه بوجود فرق بين الجملتين جاء من الفرق بين اسم الفاعل المنوَّن وغير المنوَّن ، وذلك كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ [الكهف23].

فمن المناظرات التي دارت حول مفردات القرآن الكريم من حيث إملاؤها وطريقة كتابتها ذلك الحوار الطَّريف الذي وقع بين المبرِّد وثعلب حول طريقة كتابة: ﴿ وَالضُّحَى﴾[1] وذلك أن ثعلبًا يكتبها بالياء على قاعدة: كل كلمة مختومة بالألف مضمومة الأوَّل أو مكسورته تكتب ياءً، ولكن المبرد اعترض على ثعلب ورأى كتابتها بالألف هكذا (والضُّحا) فكان أن جمع بين هذين الرجلين فسأل المبرد ثعلبًا، لِمَ كتبت والضحى بالياء؟، فقال: لضمة أوله ، فقال له: ولِمَ إذا ضم أوله وهو من ذوات الواو تكتبه بالياء، فقال ثعلب: لأن الضمة تشبه الواو وما أوله واو تكون آخره ياء فتوهموا أن أوله واو فقال المبرد: أفلا يزول هذا التوهم إلى يوم القيامة [55].

ومن المناظرات تلك التي دارت حول مواقع هذه الألفاظ في جملها وضبطها حسب هذه المواقع، ومن ذلك ما حكاه أبو علي الفارسي أَن مروان بن سعيد المهلبي سأل أَبا الحسن الأَخفش عن قوله عزَّ وجل: ﴿فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ﴾ [النساء: ١٧٦] مَا الفائدة في هذا الخبر؟، فقال: أفاد العدد المجرد من الصِّفة، وأراد مروان بسؤاله أن الألف في (كَانَتَا) تفِيد الاثنتين، فلأي معنى فسر ضمير المثنى بالاثنتين؟، ونحن نعلم أنَّه لا يجوز أن يقال: فإنْ كانتا ثلاثًا، ولا أَن يقال: فإن كانتا خمسًا، وأراد الأَخفش بقوله أَن الخبَر أفاد العدد المجرَّد من الصِّفة، أي قد كَانَ يجوز أَن يُقال: فَإن كَانَتَا صغيرتين فلهما كذا، أو كبيرتين فلهما كذا، أو صالحتين فلهما كذا، أَو طالحتين فلهما كذا. فلمَّا قالَ: ﴿ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ ، أَفَاد الخبَر أَن فرض الثُّلثَيْنِ للأختين تعلق بمُجَرَّد كونهما اثْنَتَيْنِ على أَيَّة صفة كَانَتَا عليها من كبر أَو صغر أَو صَلَاح أَو طَلاح أَو غِنى أَو

(55) ينظر: معجم الأدباء 118/19. 119، وأثر القرآن والقراءات في النَّحو العربي 161.

فَقْر، فقد تحصل من الخَبر فَائدَة لم تحصل من ضمير المثنى. ولعمري لقد أبدع مروان فِي استنباط سُؤاله، وأحسن أَبو الحسن في كشف أشكاله[56].

ويظهر للقرآن الكريم أثره البين أيضًا فيما كان يدور على ألسنة المتناظرين من الآيات الكريمة، مستدلين بها على وجهات نظرهم وآرائهم ، وهل يوجد ما هو أقوى من الآيات أدلة للتثبيت والتقرير؟.

فمن هذه المناظرات ما وقع في مجلس أبي عمرو بن العلاء مع رجل من المدينة عندما أنشده الأخير قول ابن الرقيات[57]:(من الكامل)

إنّ الحَوَادثَ بالمَدِينَةِ قَدْ ... أَوْجَعْنَنِي وقَرَعْنَ مَرْوَتَيَهْ

فانتهره أبو عمرو، وقال: مالنا ولهذا الشعر الرَّخو، إنَّ هذه الهاء لم تدخل في شيء من الكلام إلَّا أرْخَته. فقال المدني: قاتلك الله، ما أجهلك بكلام العرب!، قال الله عزَّ وجل في كتابه: ﴿ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٨ – ٢٩]و﴿ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٥ – ٢٦]، وتُعيبه؟، فانكسر أبو عمرو انكسارًا شديدًا"[58].

ويدل ردُّ هذا المدني المغمور على أبي عمرو بن العلاء، واحتجاجه بما جاء في القرآن في تلك المسألة اللُّغوية، وقوله بثقة لأبي عمرو: "ما أجهلك بكلام العرب" يدلُّ ذلك كلّه على أنَّ ذلك الرَّجل كان على قدر من العِلم باللُّغة إن لم يكن من علماء اللُّغة أصلاً[59].

---

(56) ينظر: درّة الغواص في أوهام الخواصّ، للحريري، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، 1975م. ص35، وأمالي ابن الحاجب 138/1.

(57) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم، بيروت 1958م. ص 98.

(58) الخصائص ، ابن جني ، أبو الفتح عثمان (ت 392هـ) ، تحقيق د . محمد علي النَّجار (ت1966)، ط2 ، دار الكتب المصرية ـ القاهرة ،1371هـ /1952م . 296/3، والمزهر في علوم اللُّغة وأنواعها ، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى بك ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلي محمد البجاوي ، الطبعة الأولى ، مطبعة عيسى البابي وشركاه بمصر 321/2 0.

(59) ينظر: الخصائص 396/3، وأثر القرآن والقراءات في النَّحو العربي 163، وأصول علم العربيَّة في المدينة ، عبد الرزاق بن فراج الصَّاعدي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، السنة الثامنة والعشرون، العددان 105 -106، 1417هـ - 1418هـ /1987-1988م.

ومن ذلك ما دار في مجلس أبي عاصم مع عبد الله بن المثنى الأنصاري، "حيث قال: يا أبا عبد الله، ما تقول في رجل حضره الموت فقال: يقسم عني ألف درهم من دار سليمان بن ثوابة إلى دار بني عمير، أترى الدارين داخلة في هذه الصَّدقة؟، قال: لا أراها يا أبا عاصم، إنما قال: من إلى. فقال أبو عاصم: لكني أراهما داخلتين؛ لأنَّ الله ـ عزَّ وجل ـ يقول: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [المائدة:٦]. ألا إنَّ المرفقين داخلان في الذِّراعين. فقال أبو عمرو الضَّرير وكان ثالث المتناظرين: القول ما قُلتَ يا أبا عاصم، وهو نظير قوله: أعطه من درهم إلى عشرة دراهم، والدرهم داخلٌ فيه"[60].

7– تأثر النُّحاة بثقافة الجدل وعِلم الكلام:

كان للانفتاح الحضاري دَور كبير في ظهور نزعة الجدل عند علماء المسلمين في مجالات مختلفة كالعلوم الشَّرعية واللُّغوية وغيرهما، وكان أيضًا للالتقاء بالشُّعوب الوافدة إلى ديار الإسلام دور في هذا الانفتاح، "وقد أخذ هذا المنهج يطغى على الدِّراسات المختلفة منذ ظهور المعتزلة واحتاجوا إلى الفلسفة اليونانية والمنطق اليوناني للتَّسلح ضد خصومهم، من أصحاب النِّحل والعقائد من غير المسلمين، وكان هؤلاء قد استكملوا أدوات التَّسلح بالمنطق، ووقفوا على فلسفات اليونان، وكان الصراع بين هؤلاء والمعتزلة شديدًا، والجدال بين الفريقين محتدمًا، تمثل في ظهور مدرسة الفقه القياسية، ومدرسة النَّحو القياسيَّة"[61].

وقد بدا حبُّ النُّحاة للجدل وشغفهم بالمناظرات فيما تُحدِّثنا به كتب الطَّبقات: من أن بعضهم كان يعدُّ نفسه لحلبة اللِّقاء المنتظر، ويروِّض تلامذته لملاقاة الخصوم، وإن دعا ذلك لافتعال المناظرة . فقد كان ثعلب يلقِّن تلاميذه وأصحابه المسائل النَّحويَّة على المذهب الكوفي ويدربهم على المناظرات، ويبعث بهم إلى من تحدثه نفسه أن يتصدَّر حلقةً أو يُنصِّب نفسه أستاذًا للتَّدريس في مساجد بغداد، وكان كثيرًا ما يتردَّد قومٌ خرسانيون من ذوي

(60) مجالس العلماء للزجاجي 138.

(61) مدرسة الكوفة 49.

النَّظر، فيتكلمون ويجتمع النَّاس حولهم، فإذا بصر بهم ثعلبٌ أرسل من تلاميذه من يناقشهم، فإذا انقطعوا عن الجواب انفضَّ النَّاس من حولهم[62].

والنَّحويون وهم يناظرون أهل الجدل لا بدَّ من أسلوبٍ في مخاطبتهم من حيث يفهمون ويعقلون، وعليه يمكن القول: إن النَّحويين قد أخذوا بهذا المنهج وتأثروا به تأثرًا واضحًا حتَّى وجدنا الجرمي (ت225هـ) . رحمه الله . "يُلقب النَّباح، لكثرة مناظرته في النَّحو وصياحه"[63]، وقد روى عنه يونس بن حبيب البصري (ت182هـ) أنه كان يقول:" ثلاثة اشتهي أن أُمكَّن من مناظرتهم يوم القيامة: آدم ، فأقول له: قد مكَّنك الله تعالى من الجنة، وحرَّم عليك الشَّجرة فقصدتها حتَّى طرحتنا في هذا المكروه. ويوسف ، فأقول له: كنتَ في مصر وأبوك يعقوب بكنعان، وبينك وبينه عشرة مراحل يبكي عليك حتَّى ابيضت عيناه من الحزن، ولم ترسل إليه أثر في عافية وتريحه مما كان فيه. وطلحة والزُّبير أقول لهما: إنَّ علي بن أبي طالب بايعتماه في المدينة، وخلعتماه بالعراق، فأي شيء أحدث" [64].

7– اهتمام الخلفاء والولاة بهذه الظاهرة وتشجيع العلماء عليها : يُعدُّ هذا العامل الأبرز، والحاضن لغيره من العوامل السَّابقة الذِّكر، ذلك أن بعض الخلفاء والولاة على درجة عالية من العِلم، وهم يرغبون في تحسين مستوياتهم العلميَّة، وتوثيق ثقافاتهم المختلفة. وكان لهم أثر ظاهر في إذكاء جذوة الحوار بين النُّحاة، وكما وأن تشجيعهم لمساجلات العلماء ومجالسهم من أقوى الدوافع لظهورها واستمرارها، قال أبو يوسف صاحب أبي حنيفة لهارون الرشيد:"يا أمير المؤمنين قد سعد بك هذا الكوفي وشغلك، فقال الرشيد: النَّحو

(62) ينظر: طبقات النحويين واللغويين 109، والنَّحو والصرف في مناظرات العلماء ومحاوراتهم 26.

(63) تصحيح الفصيح وشرحه، أَبُو محمد، عبد الله بن جعفر بن محمد بن دُرُسْتَوَيْه ابن المرزبان (ت 347هـ)، د. محمد بدوي المختون، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية (القاهرة)، 1419هـ - 1998م.ص50.

(64) أخبار النَّحويين والبصريين 31، نزهة الألباء 49.

يستفرغني لأنني أستدلّ به على القرآن والشِّعر" [65]. و" كَانَ الْكسَائي والأصمعي بِحَضْرَة الرشيد، وَكَانَا ملازمين لَهُ يقيمان بإقامته ويظعنان بظعنه"[66] .

كما أنَّ ولاة الأمر وجدوا في المناظرات والمحاورات سبيلًا لإنصاف العلماء، وفي الحوار بينهم وسيلةً لاختيار النَّوابغ منهم ليكونوا مُعلِّمين ومُأدِّبين لأولادهم، أو لمجالستهم ومسامرتهم، فإن فيها مجال فسيح لإبراز المواهب والقدرة العلميَّة وإظهار الفضل، بما يكون فيها من امتحان العلماء بعضهم لبعض، فمن تفوَّق منهم نال حظوةً وعلا مكانةً وكان نصيب غيره الحرمان[67].

والمتوكل لما أراد اختبار مؤدِّبين لأولاده جعل ذلك لمستشاره إيتاخ، فأمر كاتبه أن يتولَّى ذلك، فبعث إلى الطَّوَّال، والأحمر، وابن قادم، وأبي عصيدة، وغيرهم من أُدباء ذلك العصر، فأحضرهم مجلسه وحضر أبو عصيدة فقعد في آخر النَّاس، فقال له من قرب منه: لو ارتفعت، فقال: بل أجلس حيث انتهى بي المجلس، فلمَّا اجتمعوا قال لهم الكاتب: لو تذاكرتم وقفنا على موضعكم من العِلم واخترنا، فألقوا بينهم بيتَ ابن غلفاء الفزاري:(من الوافر)

ذَرِينِي إِنَّمَا خَطَئِي وَصَوْبِي ... عَلَيَّ وَإِنَّ مَا أَهْلَكْتُ مَالِ "[68].

وقال الواثق للمازني: " إنَّ هاهنا قومًا يختلفون إلى أولادنا، فامتحِنْهم، فمَنْ كان منهم عالمًا يُنتفع به ألزمناه إيَّاهم، ومَن كان بغير هذه الصِّفة قطعناه عنهم. ثمَّ أمر فجُمِعوا إليَّ، فامتحنتُهم فما وجدتُ طائلًا، وحذروا ناحيتي. فقلتُ: لا بأسَ على أحدٍ. فلمَّا رجعتُ إليه قال: كيف رأيتَهم؟، قلتُ: يفضُل بعضُهم بعضًا في علومٍ يفضلُ الباقون في غيرِها، وكلٌّ يُحتاجُ إليه." [69].

(65) ينظر: معجم الأدباء 1741/4.

(66) الأمالي للزّجاجيّ، تحقيق عبد السّلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط 2، 1407هـ. ص50.

(67) ينظر: النَّحو والصرف في مناظرات العلماء ومحاوراتهم 16.

(68) ينظر: معجم الأدباء 361/1، إنباه الرواة 120/1، والوافي بالوفيات 112/7.

(69) ينظر: وطبقات النَّحويين واللُّغويين 92، وإنباه الرواة 286/1، ومعجم الأدباء 760/2.

إنَّ بعض المؤرخين يرى أن نصيب الكوفيين من التَّشجيع والعناية كان كبيرًا، حتَّى ذهب بعضهم إلى أنَّه كان السبب الرئيس . إن لم يكن الوحيد . في انتصار الكوفيين على البصريين، يقول أبو الطَّيب اللُّغوي: " وغلب أهلُ الكوفة على بغداد وخدموا الملوك فقرَّبوهم..." [70] . ولا شك أنَّ الكوفيين كانوا أسرع اتصالًا بالخلفاء في بغداد من البصريين وكان لهذا الاتصال المبكر أثر في دنوهم من ولاة الأمر، إذ وَكِّلَ إلى كثيرٍ منهم تأديب أولاد الخلفاء وتعليم الأمراء ، ونجد أبا الطَّيب اللُّغوي في مكان آخر من كتابه يقول: "والحق أنَّ السِّياسة هي التي عاضدت الكوفيين وأوجدت منهم رجالًا كوَّنوا مذهبًا ناضل المذهب البصري، ولولاها لما ثبتوا أمام البصريين في مساجلاتهم، ولما قهروهم في مواطن كثيرة ظلمًا وعدوانًا، والدُّنيا منذ الخليقة مملوءة بالأغراض والشَّهوات.. "[71] ، والأمر ليس كذلك؛ لأنَّنا وجدنا تشجيعًا من الخلفاء لنحاة الفريقين بشكل متوازن، وقد كان للبصريين من هذا التَّشجيع الشَّيء الكثير، وفيما يأتي شاهدين ـ من مواقف كثيرة ـ ممَّا وجده البصريون من تشجيع ومناصرة من قبل الخلفاء والولاة ...

فالمهدي انتصر لليزيدي على الكسائي . وهو رئيس القوم . في أكثر من موضع، كان المهدي في جانبه، في حين أجاز الكسائي أن يقال: مررت حجامًا برجل. أنكرها اليزيدي، ووافقه المهدي. وردَّ حجَّة الكسائي، وأعجب بما أورده اليزيدي حتى قال اليزيدي: " فاشتهاها المهدي واستفزني وضحك"[72]. بل إنَّ اليزيدي وجد من رعاية المهدي وتشجيعه ما يجعله من المقربين في حضرته، فحين انتصر اليزيدي على الكسائي في المجلس الثَّاني قال اليزيدي: فاستفزَّني السُّرور حتى ضربت بقلنسوتي الأرض، وقلت: أنا أبو محمد. فقال شيبة

(70) مراتب النَّحويين، لأبي الطيب اللُّغوي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة النهضة ، مصر . ص147.

(71) المصدر نفسه 169.

(72) مجالس العلماء 137، وما بعدها .

بن الوليد: يتكنَّى باسمك أيها الأمير، قال المهدي: والله ما أراد بذلك مكروهًا، ولكنَّه فعل ما فعل بالظَّفر وقد ـ لعمري ـ ظفر[73] .

أمَّا المازني إمام البصريين في زمانه، فقد كان له شأنٌ عند الواثق وأي شأن !، وكانت له مكانة لا تقِلُّ عن مكانة من حوله من الكوفيين ـ إن لم تفقها وتزد عليها ـ فحين أشخص المازني، وكانت بأمر الواثق، أحسن إليه وأكرم وفادته، وقرب مجلسه، بل كلَّفه أن يمتحن من حوله من النُّحاة ـ ومعظمهم كوفيون ـ ولما أراد المازني الانصراف تعلَّق به الواثق وتمنَّى إقامته، وقال له: "لله درك كيف لي بك؟، فقال المازني: يا أمير المؤمنين إن الغُنم لفي قربك والنَّظر إليك، والأمن والفوز لديك، ولكنَّني أَلِفت الوحدة.... ولي أهل يوحشني البعدُ عنهم ... فقال الواثق: فلا تقطعنا وإن لم نطلبك ... وأمر له بألف دينار، وأجرى عليه في كلِّ شهرٍ مائة دينار. قال المازني: فانصرفت إلى البصرة وكتب إلى عاملها أن يدرَّ عليَّ مائة دينار في كل شهر" [74]. فهل فوق ذلك ما يطمع إليه المازني ، وحسبك بقوله . الذي سقناه آنفًا . دليلًا وبرهانًا على ما لقي من حفاوةٍ ورعايةٍ . ولذلك لا يمكن البتَّ فيما حدث في مناظرة سيبويه والكسائي تحيُّزًا من ولاة الأمر على نحو ما يعدُّ تآمرًا على سيبويه أو غمطًا لحقه، وليس فيها تعصب للكسائي يعطيه ما ليس له. يتَّضح ممَّا سبق أنَّ مواقف الخلفاء وولاة الأمر من المتناظرين . في أغلب الأحيان . عادلة ومجانبة للظلم والحيف ، وإنَّ تأييدهم لطرف ما على طرفٍ يكون مبنيًّا على رأي علميٍّ وجدوه في المسألة[75].

ثانيًا: نظرة تقويميَّة لبعض المناظرات النَّحويَّة.

إن الاختلاف في الآراء ووجهات النَّظر أمرٌ من لوازم الطَّبيعة الإنسانيَّة جعله الله بين بني البشر، وتلك فطرته التي فطر النَّاس عليها. ومن هنا كان من الأمور الطَّبيعية أن يحدث

(73) ينظر: مجالس العلماء 188، وما بعدها ، وتاريخ العلماء النَّحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري (ت 442هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط2، القاهرة، 1412هـ - 1992م. ص117.

(74) طبقات النحويين واللغويين 91.

(75) ينظر: النَّحو الصرف في مناظرات العلماء ومحاوراتهم 22.

الخلاف والاحتكاك بين علماء البصرة وعلماء الكوفة، والذي يعنينا ـ هنا ـ أن نلقي الضَّوء على عدد من المناظرات المشهورة ونعمل على تقيمها علميًّا.

1– مناظرة الكسائي وسيبويه[76] :

وهي التي تُسمى المسألة الزنبورية، أُقيمت في خلافة الرشيد وبحضرة يحيى البرمكي، وهي من أشهر المناظرات، وقد حفلت بها كتب العِلم والأدب، واهتم بها علماء التَّراجم والطَّبقات، وقد بدأها أبو البركات الأنباري في كتابه (الإنصاف) بقوله: "ذهب الكوفيون إلى أنَّه يجوز أن يُقال: كنت أظن أنَّ العقرب أشدُّ لسعةً من الزّنبور، فإذا هو إياها، وذهب البصريُّون إلى أنَّه لا يجوز أن يقال: فإذا هو إياها، ويجب أن يقال: فإذا هو هي"[77].

والمسألة موضوع الخلاف هل تدخل (إذا) الفجائيَّة على الجملة الفعلية؟، الكوفيُّون يجيزون ذلك والبصريون لا يجيزون، كما ذكر أبو البركات .

"وكلا الجوابين له توجيه من العربيَّة: فمن قال: "فإذا هو إيَّاه" فـ "إيَّاها" مفعول بفعل محذوف يدلُّ عليه المعنى، فلمَّا حذف الفعل انفصل الضَّمير. ومن قال: "فإذا هو هي" فليس المعنى أنَّ الزّنبور هو العقرب حقيقةً، وإنما هو من باب (زيدٌ زُهيرٌ)، أي: فإذا هو مثلها في اللَّسع لا أشد لسعًا منها"[78].

تذكر المصادر هذه المناظرة بأساليب شتَّى، منها ما يكون عاديًّا، ومنها ما يعرضها عرضًا يشير إلى أنَّها مكيدة نسجت خيوطها بإحكام ضدَّ سيبويه ، وهكذا شغلت هذه القصة أذهان النَّاس قديمًا وحديثًا .

---

(76) ينظر: الأمالي ابن الشّجريّ، تحقيق الدّكتور محمود الطّناحيّ، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ط 1، 1413هـ. 350/1، والإنصاف في مسائل الخلاف بين النَّحويين البصريين والكوفيين: لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري النَّحوي، دار الفكر، دمشق، تحقيق: محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد 676/2، والأمالي ابن الحاجب، عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي (ت646هـ)، د. فخر صالح سليمان ، دار عمار – الأردن، دار الجيل . بيروت، 1409 هـ – 1989 م. ص 874/2، وتاريخ آداب العرب 219/1.

(77) الإنصاف في مسائل الخلاف 576/2.

(78) التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل 85/4.

وقد اجتمعت كلمةُ العلماء المنصفين على أن سيبويه قد خُذل في هذه المسألة ظلمًا وعدوانًا، وذكروا أنَّ الحق كان مع سيبويه، وأنَّ ما قاله هو الحق الذي له وجهه الموافق لما في القرآن الكريم من وقوع الجملة الاسمية بعد (إذا) التي للمفاجأة نحو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الأعراف: 108]، وقوله عزَّ وجل: ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ [طه:20]. وقال ابن الشَّجري في أماليه: "وإنما أنكر سيبويه النَّصب؛ لأنَّه لم يره مطابقًا للقياس، ولم ير له وجهًا يُقارب الصَّواب، ولما لم يظفر الكسائي بحجَّةٍ قياسيَّةٍ يدفع بها إنكار سيبويه للنَّصب؛ كان قصاراه الالتجاء إلى السَّماع، والتَّشبث بقول أعراب أُحضروا، فسئلوا عن ذلك، وكان للكسائي بهم أَنَسَة، وسيبويه إذ ذاك غريب طارئ عليهم، وذكر قوم من البصريين أن الكسائي قد جعل لهم جعلًا استمالهم به إلى تصويب قوله، وقيل: إنما قصد الكسائي بسؤاله عمَّا علم أنَّه لا وجه له في العربيَّة، واتَّفق هو والفرَّاء على ذلك ليخالفه سيبويه، فيكون الرُّجوع إلى السَّماع، فينقطع المجلس عن النَّظر والقياس" (79).

وبالطَّبع كل نقلة المناظرة بصريون أو أصحاب ميول بصريَّة ، ولا نبرئ البشر من النَّوازع ، فقد يكون في المناظرة نوع من التَّحدي أو من التَّظاهر ضدَّ سيبويه ، وهذا شيء طبيعي لأنَّ البغداديين في هذا العهد كانوا كوفيين في مذهبهم النَّحوي، ولا يمكن الجزم بفكرة المؤامرة ضد سيبويه، فكيف يحدث هذا من الكسائي وقد وصفه أَبُو بكر ابن الأنباري . رغم ميوله البصريَّة . بما يُؤَكِّد على سموِّ أخلاقه ودينه وأمانته ، "قال: قال الفرَّاء: رأيت الكسائي يومًا، فرأيته كالباكي، فقلت له: ما يبكيك؟، فقال:هذا الملك يَحْيَ بن خالد يوجه إليَّ، فيحضرني، فيسألني عَن الشَّيء، فإن أبطأت في الجواب لحقني منه عيبٌ، وإن بادرت لم آمن الزَّلل، قَالَ: فقلت له ممتحنًا: يا أبا الحسن من يعترض عليك، قُلْ ما شئت، فأنت الكسائي، فأخذ لسانه بيده، فقال: قطعه اللَّه إذًا، إن قلتُ ما لا أعلم" (80) .

(79) أمالي ابن الشجري 350/1.

(80) تاريخ بغداد 345/13، ونزهة الألباء 63.

ولكن هذه المناظرة على علّاتها وعلى الرغم من اختلاف رواياتها تُقدِّم مظهرًا واضحًا للخلاف بين المدرستين في ذلك العهد بالصُّورة التي ظهر عليها أمام المجتمع[81].

2– مناظرة الكسائي والأصمعي[82].

حدَّث أحمد بن يحيى ثعلب أحد أئمة الكوفيين قال: "كَانَ الْكسَائي والأصمعي بِحَضْرَة الرشيد، وَكَانَا ملازمين لَهُ يقيمان بإقامته ويظعنان بظعنه فَأَنْشد الْكسَائي[83]: (من البسيط)

أَنَّى جَزَوْا عَامراً سوأى بفعلهم ... أم كيف يَجْزُونَني السُّوأَى مِنَ الحَسَنِ

أَم كَيفَ يَنْفعُ ما تُعْطِي العَلُوقُ بهِ ... رِئْمَانِ أَنْفٍ إِذَا ما ضُــنَّ بـاللَّبَنِ

فَقَالَ الْأَصْمَعِي: إِنَّمَا هُوَ رئمان أنف بِالنَّصب. فَقَالَ لَهُ الْكسَائي: اسْكُتْ مَا أَنْت وَذَاكَ!، يجوز: رئمانُ أنفٍ، ورئمانَ أنفٍ، ورئمانِ أنفٍ. بِالرَّفْع وَالنَّصب والخفض. أمَّا الرّفْع فعلى الرَّد على (مَا) لِأَنَّهَا فِي مَوضِع رفعٍ بـ (يَنْفَعُ)، فَيصير التَّقْدِير: أم كَيفَ ينفعُ رئمانُ أنفٍ. وَالنّصب بـ (تُعْطِي)، والخفض على الرَّد على الْهَاء الَّتِي فِي (بِهِ). قَالَ فَسكت الْأَصْمَعِي وَلم يكن لَهُ علمٌ بِالعربيَّة، وَكَانَ صَاحب لغةٍ لم يكن صَاحب إعرابٍ"[84].

قال سعيد الأفغاني: "عدوا الكسائي فائزًا في هذه المناظرة، ولعل المجلس تقوَّض على ذلك، ولكنَّنا الآن لا نعدّه كذلك. فالأصمعي راوية ثبت صدوق وهو في الرِّواية والأخبار أقوى من الكسائي، والكسائي أورد وجوه الإعراب المحتملة، أمَّا الأصمعي فإنَّما يرد صاحبه إلى الرواية وشتان ما بين الأمرين"[85].

(81) ينظر: الخلاف بين النَّحويين 91.

(82) ينظر:أمالي الزجاجي 50، وأمالي ابن الشجري 54/1.

(83) البيت لأفنون بن صريم التغلبي ، في المفضّليّات، للمفضّل الضّبّي، تحقيق أحمد شاكر وعبد السّلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط 6، 1979م. ص263، والبيان والتبيين: الجاحظ، دار صعب، بيروت، تحقيق: فوزي عطوي 33/1، وأمالي القالي 51/2.

(84) أمالي القالي 51/2.

(85) من تاريخ النَّحو العربي 47.

وقد "صوَّب ابنُ الشجري إِنْكَار الْأَصْمَعِي فَقَالَ: لِأَنَّ رئمانها للبو بأنفها هُوَ عطيتها إِيَّاه لَا عَطِيَّة لَهَا غَيره، فَإِذا رفع لم يبْق لَهَا عَطِيَّة فِي البَيت؛ لِأَن فِي رَفعه إخلاء (تُعْطِي) من مَفْعُوله لفظًا وتقديرًا، والجر أقرب إلى الصَّوَاب قَلِيلاً، وَإِنَّمَا حق الْإِعرَاب وَالمعْنَى النَّصب وعلى الرَّفْع فَيحْتَاج إِلَى تَقْدِير ضمير رَاجع إِلَى الْمُبدل منه، أَي: رئمان أنف لَهُ، وَالضَّمِير فِي (بفعلهم) لعامر، لِأَن المرَاد بِهِ الْقَبِيلَة وَ(من) بِمَعْنى الْبَدَل، مثلهَا فِي: ﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ﴾ [التوبة:38]، وأنكر ذلك بعضهم وَزعم أَن من مُتعلِّقَة بكلمة البَدَل محذوفة "[86]. ثمَّ عقَّب ابن الشَّجرى بعد مناقشة إعراب الكسائي منتصرًا للأصمعي بقوله: "ولنحاة الكوفة فى أكثر كلامهم تهاويل فارغة من حقيقة"[87].

3– مناظرة الكسائي واليزيدي.

ذكر أبو جعفر أحمد بن جعفر البلخِي في كتابه الأذكياء أنَّ الرَّشيد جمع بين الكسَائي وأبي محمَّد اليزيدي يتناظران في مجلسه فسألَهمَا الكرمَاني عن قول الشَّاعر : (من مجزوء الرَّمل)

مَا رَأَيْنَا حَرِبًا يَنْـقر ... عَنهُ البَيْـضَ صَقْرُ

لاَ يَكُونُ العَيْرُ مُهْرًا ... لَا يكون المهْرُ مُهْرُ

فقال الكسائي يجب أن يكون (المهْر) مَنصُوبًا على أَنه خبر كَانَ، فَفِي الْبَيْت على هَذَا إقواء، فَقَالَ اليزيدي: الشّعْر صَوَاب لِأَن الْكَلَام قد تمّ عِنْد قَوْله (لَا يكون) الثَّانِيَة، ثمَّ اسْتَأْنف فَقَالَ: (الْمهْر مهر)، ثمَّ ضرب بقلنسوته على الأَرْض، وَقَالَ أَنا أَبو مُحَمَّد، فَقال له يحيى: أتكتني بحضرة أَمِير الْمُؤمنِينَ، فَقَالَ الرشيد: وَالله إِن خطَأ الْكسائي مع حسن أدبه لأحب إِلَيّ من صوابك مَعَ سوء أدبك، فقالَ يا أمير المؤمنين: إِن حلاوة الظَّفَر أذهبت عَني التحفظ فَأمر بِإِخْرَاجِهِ[88] .

(86) أمالي ابن الشجري 56/1، ومغني اللبيب 67.

(87) أمالي ابن الشجري 56/1.

(88) ينظر: معجم الأدباء 1742/4، ومرآة الجنان وعبرة اليقظان: لأبي محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1413هـ، 1993م.5/2، وسمط اللآلي، لأبي عبيد البكري، تحقيق عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلميَّة، بيروت، (د.ت). 417/3.

قال ابن خلكان (ت681هـ) مُعلِّقًا على إعراب الكسائي: " قول الكسائي في البيت إقواء ليس بجيد، فإنَّ إصلاح أرباب علم القوافي أن الإقواء يختصُّ باختلاف الإعراب في حرف الرَّوي بالرَّفع والجرِّ لا غير، بأن يكون أحد البيتين مرفوعًا والآخر مجرورًا، فأمَّا إذا كان الاختلاف بالنَّصب مع الرَّفع والجرِّ فإنَّ ذلك يُسمَّى إصرافًا لا أقواءً، وإلى هذا أشار أبو العلاء المعري في قوله من جملة قصيدة طويلة يرثي بها الشَّريف الطَّاهر والد الرضي والمرتضى وهو من صفة بعيب الغراب[89]: (من الكامل)

بُنِيَت عَلَى الإيطاءِ، سَالِمَةً مِنَ الـ ..... إِقْواءِ والإِكْفاءِ والإِصْرافِ

وهذا البيت مُتعلِّقٌ بما قبله ولا يظهر معناه إلَّا بذكر ما تقدم،.... وقد قيل إنَّ الإصراف من جملة أنواع الإقواء، فعلى هذا يستقيم ما قاله الكسائي [90].

وبناءً على ما تقدَّم من مناظرات ممكن القول:" إنَّ في أكثر هذه الأخبار مجالٌ للشَّك والتَّردد، ولا سيَّما من جهة روايتها، إذ راوي خبر الكسائي والأصمعي الذي انتصر فيه الكسائي هو ثعلب، وراوي مناظرة الكسائي وسيبويه هو الفرَّاء تلميذ الكسائي وراوي خبر اليزيدي والكسائي هو اليزيدي نفسه، ولم تُسمع رواية الطَّرف الآخر ممكن شاهد الوقائع، ومع هذا يمكن أن نطمئن إليها ونعدَّها حقائق واقعة كما رويت، بدليل أنَّ أحدًا من نحاة البصريين لم يتقدَّم لنقض هذه الروايات أو التَّشكيك في مضمونها"[91].

ويرى الأستاذ سعيد الأفغاني في هذه المناظرات رأيين هما:

1- "لا يحتاج القارئ إلى كثير روية حتَّى يطمئن إلى أنَّ الحقَّ في كلِّ هذه المناظرات كان بجانب البصريين: الأصمعي, وسيبويه، واليزيدي، والمبرد؛ وأن حجج الكوفيين في هذه المسائل واهية.

---

(89) ذكر أبو العلاء في سقط الزند 33 أن الغراب رثى الشريف العلوي بقصيدة مبنية على الإيطاء لأنها " غاق غاق " مكررة ، ولكنها سالمة من عيوب الإقواء والإكفاء والإصراف، وقيل البيت:

عقرت ركائبك ابن دأية غادياً ... أي امرئ نطـق وأي قواف

بُنِيَتْ على الإبطاء سَالِمَةً مِنَ الـ ... إِقْواءِ والإِكْفاءِ والإِصْرافِ

(90) ينظر: وفيات الأعيان 187/6.

(91) الخلاف بين النَّحويين 96.

2- لم تكن أكثر هذه المجالس عادلة، فميل السُّلطان إلى أحد الخصمين وتقريبه له ومكانته عنده، كل ذلك قوَّى نفسه فاستطال على خصمه بدالته ولسانه وجاهه في القصر وعند الشّهود، وتحدثت هذه المجالس بغلبته، إلى أن مضت الأيام وانقضت تلك الاعتبارات, وحكم التَّاريخ فرد الحق إلى أهله"[92].

أسأل الله . تعالى . أن يجزي علماء الأُمَّة كلَّ خيرٍ على ما قدَّموه للأجيال من فكرٍ ناضجٍ حيّ، ومن إرثٍ علميٍّ غزير قلَّ نظيره بين الأُمم ، والحمد لله ربِّ العالمين .

الخاتمة

في خاتمة هذا البحث الموسوم بـ (**المناظرات النَّحويَّة وضوابطها النَّقديَّة**) الذي تناول ظاهرةً علميَّةً واجتماعيَّةً مُهمَّةً، تركت أثرًا إيجابيًا في كتب التُّراث اللُّغوي، ينهل منها الباحثون في كلِّ زمان. لقد توصل البحث إلى مجموعة من النَّتائج أوجزها بالآتي:

1- فرَّق في الدَّلالة بين معنى المناظرة والمحاورة، والمجلس، مستندين على تعريفات أهل العلم في بيان معنيهما اللُّغوي .

2- المناظرات في النَّحو واللُّغة توضح لنا بأنها . رغم أهدافها المتنوعة ودوافعها المختلفة . كانت كلها تستهدف خدمة القرآن الكريم ولغة كتاب الله تعالى.

3- يسجل فضل شيوع المناظرات وتقدمها إلى أهل الجدل وعلم الكلام، إذ كانت الوسيلة الرئيسة في نشر أفكارهم ومبادئهم .

4- أظهر البحث مكانة المناظرات في الدرس اللُّغوي، فبيَّن أنها كانت من أهم معاهد العلم والدرس، إذ كانت الساحة الحقيقية لعرض الآراء العلميَّة وقضاياه المهمة، ففيها برزت قامات علمية سجلت حضورًا متميِّزًا ذكرته كتب التراجم والسير بكثيرٍ من الاحترام .

(92) من تاريخ النَّحو العربي 61.

5- أظهرت الدراسة الأثر العميق للمناظرات في الحياة العلميَّة بعامَّة ولدى اللُّغويين بخاصة ، كان من أهم مظاهر ذلك الإقبال المتحمس لطلب العلم والجِد في تحصيل مسائله، للتفوق على الأقران أو لإشباع غريزة الغلبة .

6- أظهر البحث أن المناظرات النَّحويَّة كانت في البدء على أيدي الطليعة الأولى من النَّحويين الذين اهتموا بوضع الأصول والقواعد، وكانت هذه البداية متزنة هادئة في أغلب حواراتها، ثم تطورت إلى مرحلة أكثر خصامًا ومشاجرة، لكن ما لبثت أن استقرت بعد انصهار البصريين والكوفيين بمذهبٍ جديدٍ فرض واقعه ببغداد أذاب الحدَّة والنديَّة بينهما وتراجعت بسببه المناظرات تراجعًا واضحًا .

7- أظهر البحث أن الخلفاء وولاة الأمر لم يتحيَّزوا لمصر على مصر، أو لعالِمٍ على عالِمٍ آخر، فقد كانوا يعاملون الجميع على قَدَم المساواة، مستندين في ذلك على قوَّة الحجة في المسألة العلميَّة .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم ـ رواية حفص عن عاصم .

أثر القرآن والقراءات في النَّحو العربي، د. محمد سمير نجيب اللّبدي، دار الكتب الثقافية، الكويت، ط1، 1398هـ . 1978م.

أخبار النَّحويين والبصريين، الحسن بن عبد الله بن المرزبان السِّيرافي، أبو سعيد(ت368هـ) ، تحقيق: طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي، 1966م.

أدب الحوار والمناظرة، د. علي جريشة ، دار الوفاء، المنصورة، ط1،1989م.

أصول علم العربيَّة في المدينة ، عبد الرزاق بن فراج الصاعدي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، السنة الثامنة والعشرون، العددان 105 –106، 1417هـ – 1418هـ /1987–1988م

الأمالي ابن الحاجب، عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي (ت646هـ)، د. فخر صالح سليمان ، دار عمار – الأردن، دار الجيل — بيروت، 1409 هـ – 1989 م.

الأمالي ابن الشّجريّ، تحقيق الدّكتور محمود الطّناحيّ، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ط (1) 1413هـ.

الأمالي للزّجاجيّ، تحقيق عبد السّلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط (2) 1407هـ.

الأمثال، لأبي عبيد القاسم بن سلَّام، تحقيق الدُّكتور عبد المجيد قطامش، دار المأمون، دمشق، ط1، 1400هـ. (من مطبوعات مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلاميّ بجامعة أمّ القرى).

الاقتراح في أصول النَّحو ، للسيوطي (ت911هـ) ، تحقيق: أحمد محمد قاسم ، ط1، مطبعة السعادة ، القاهرة، 1976م.

إنباه الرواة على أنباء النُّحاة، جمال الدِّين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت646هـ)، تحقيق محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثّقافية، بيروت، ط1، 1406هـ.

الإنصاف في مسائل الخلاف بين النَّحويين البصريين والكوفيين: لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري النَّحوي، دار الفكر، دمشق، تحقيق: محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد .

بغية الوعاة في طبقات اللُّغويين والنُّحاة: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، المكتبة العصرية، لبنان، صيدا، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم .

البيان والتبيين: الجاحظ، دار صعب، بيروت، تحقيق: فوزي عطوي.

تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ) ، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (ت 1356هـ)، دار الكتاب العربي، (د.ت).

تاريخ العلماء النَّحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري (ت 442هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط2، القاهرة، 1412هـ – 1992م.

تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت 463هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1422هـ – 2002 م.

تصحيح الفصيح وشرحه، أَبُو محمد، عبد الله بن جعفر بن محمد بن دُرُسْتَوَيْه ابن المرزبان (ت 347هـ)، د. محمد بدوي المختون، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (القاهرة)، 1419هـ – 1998م.

تطور الدَّرس اللُّغوي في الأندلس، محمد خالد الدعيس، المغرب، الدار البيضاء، 2009م.

التعريفات ، علي بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت 816هـ) ، تحقيق مجموعة من العلماء ، دار الكتب العلميَّة ، ط1 ،بيروت ، لبنان ،1983م.

التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي ، دار الكتب العلميَّة (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان 1407هـ – 1986م، ط1، 1424هـ – 2003م.

تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت676هـ) ، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية.

ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، لأبي منصور الثعالبي ت429هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية، بيروت . لبنان،ط1، 2003م.

الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2، 1384هـ – 1964م.

الخصائص، ابن جني ، أبو الفتح عثمان (ت 392هـ) ، تحقيق د . محمد علي النَّجار (ت1966) ط2 ، دار الكتب المصرية – القاهرة ،1371هـ /1952م .

الخلاف بين النَّحويين دراسة . تحليل . تقويم ، د. السيد رزق الطويل، مكتبة الفيصلية، ط1، مكة المكرمة ، 1405هـ – 1984م.

درّة الغواص في أوهام الخواصّ، للحريري، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، 1975م.

ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم، بيروت 1958م.

زغل العلم ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت748هـ)، تحقيق: محمد ناصر العجمي، مكتبة الصحوة الإسلامية.

السبق التربوي في فكر الشافعي ، بدر محمد ملك، وخليل محمد أبو طالب، مصر .

سمط اللآلي، لأبي عبيد البكري، تحقيق عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلميَّة، بيروت، (د.ت).

سيبويه إمام النُّحاة ، على النجدي ناصف، مطبعة العثمانية .

شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار إحياء الكتب العربيَّة، القاهرة، (د.ت).

شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النَّحويَّة «لأربعة آلاف شاهد شعري»، محمد بن محمد حسن شُرَّاب، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط1، 1427 هـ- 2007 م.

شرح المفصّل، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، المعروف بابن يعيش، وبابن الصانع (ت643هـ) ، عالم الكتب، بيروت.

ضحى الإسلام ، أحمد أمين، الطبعة العاشرة، دار الكتاب العربي، بيروت .

ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن حبنكة الميداني، تحقيق: حسين مؤنس، دار القلم، دمشق 1993م.

طبقات النَّحويين واللُّغويين: محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، أبو بكر (ت379هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ، ط2، (د.ت)

العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق الدُّكتور مهدي المخزوميّ والدّكتور إبراهيم السّامرّائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط 1، 1408هـ.

عيون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276هـ)، دار الكتب العلميَّة – بيروت، 1418 هـ .

فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر – بيروت .

الفهرست: محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم، دار المعرفة، بيروت، 1398 – 1978 .

القاموس المحيط، للفيروزآبادي، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ط 1، 1406هـ.

لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (ت711هـ)، دار صادر، بيروت، ط1، 1410هـ.

لمع الأدلة (والإغراب في جدل الأعراب) ، لأبي البركات الأنباري (ت577هـ)، تحقيق: سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، 1377هـ ـ 1957م.

ما فات الإنصاف من مسائل الخلاف، د. فتحي بيومي حمودة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، (د. ت) .

مجالس العلماء، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي – القاهرة، دار الرفاعي بالرياض، ط2، 1403هـ ـ 1983م.

مجلة جامعة البصرة، كلية الآداب، العدد التاسع، 1974، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف .

مجمع الأمثال ، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت 518هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة 1959م.

محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، الشيخ محمد الخضري بك، التجارية الكبرى، مصر ، 1970م.

المخصّص، لابن سيده، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1 ، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، 1417هـ 1996م.

مدرسة البصرة النَّحويَّة، نشأتها وتطورها، د. عبد الرحمن السيد، توزيع دار المعارف ، مصر، ط1، 1968م.

مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللُّغة والنَّحو ، د. مهدي المخزومي ، مطبعة الحلبي ، مصر، 1958م.

مرآة الجنان وعبرة اليقظان: لأبي محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1413هـ، 1993م.

مراتب النَّحويين، لأبي الطيب اللُّغوي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة النهضة ، مصر .

المزهر في علوم اللُّغة وأنواعها : عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى بك ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلي محمد البجاوي ، الطبعة الأولى ، مطبعة عيسى البابي وشركاه بمصر 0

معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب): شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت626هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت)

المعجم الوسيط، مجمع اللُّغة العربيَّة، (إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد النجار)، دار الدعوة .

مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: جمال الدين ابن هشام الأنصاري، دار الفكر، دمشق، 1985، ط6، تحقيق: د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله .

المفضّليّات، للمفضّل الضّبّي، تحقيق أحمد شاكر وعبد السّلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط 6، 1979م.

من تاريخ النَّحو العربي، سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني (ت 1417هـ)، مكتبة الفلاح، (د.ت).

المناظرات الأدبية في العصر العباسي ، مجلة جامعة بخت رضا، العدد12، سبتمبر2014م.

النَّحو والصرف في مناظرات العلماء ومحاوراتهم حتى نهاية القرن الخامس الهجري عرض ونقد، أطروحة دكتوراه ، محمد آدم الزاكي، جامعة أم القرى، قسم اللُّغة العربيَّة ، 1985م.

نُزهة الألبّاء في طبقات الأدباء: عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (ت577هـ)، تحقيق: الدّكتور إبراهيم السّامرّائي، مكتبة المنار،ط3، الأردن، 1405هـ.

نشأة النَّحو وتاريخ أشهر النُّحاة، الشيخ محمد الطنطاوي ، تحقيق: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل، مكتبة إحياء التراث الإسلامي، ط1، 2005م.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني، دار صادر، بيروت، 1388هـ، تحقيق: د. إحسان عباس.

النقد النَّحوي في فكر النُّحاة إلى القرن السَّادس الهجري، رسالة ماجستير، سيف الدين شاكر نوري البرزنجي، إلى مجلس كلية التربية في جامعة ديالى، العراق ، 1427هـ. 2006م .

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان(ت681هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة ، لبنان.